



نحو صياغة "مدخل إلى علم النفس القرآني"

الباحث عبد الصمد صغيري

باحث في سلك الدكتوراه

تكوين الدكتوراه: الاجتهاد والعمران: المناهج والقضايا

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس

المغرب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

ديباجة:

في زمن اضطراب المشاعر واهتزاز الأحاسيس، بل وانحراف السلوكات والتصرفات الإنسانية عن جادة الصواب يظل من الواجب الرجوع إلى معطيات علم النفس رجاء الظفر ببعض القواعد والحقائق التي من شأنها أن تعالج هذا الوضع الخارج عن مقتضيات التكوين الفطري للنفس الإنسانية، في مأمنٍ من سلوكيات الإدمان التي عادة ما يضطر إليها المريض للتخفيف من معاناته جاهلاً أنها لا تزيد حاله إلا سوءاً وتأزماً...

لكن المسح البحثي لإنتاج الإنسان في العالمين الغربي والعربي في مجال علم النفس يكشف عن حقيقتين: ترتبط أولاهما بقلة الكتابات النفسية، مقارنةً بغيرها من مجالات العلوم الإنسانية، وضعف مواكبتها لموجة تنامي المشاكل النفسية التي يعاني منها إنسان القرن الواحد والعشرين.

وتتعلق ثانيهما بطابعها النظري الذي يقصُرُ بها عن مستوى تقديم وصفات علاجية متكاملة لاعتلالات النفس البشرية.

من هنا إذن انقدحت في ذهني فكرة محاولة صياغة "مدخل إلى علم النفس القرآني" بما هو علم مستمدٌ أسسه المعرفية، مأخوذةٌ أصوله العلمية من دستور العالمين القرآن الكريم

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾¹

وقد جربت البشرية وصفاتٍ نفسيةً راجعةً إلى اجتهادات إنسانية ونتائج بشرية، بغية فهم النفس البشرية وإدراك تقلباتها وتفاعلاتها المعقدة لكنها لم ترجع من كل ذلك إلا بنزر يسير من الفهم، فضلا عن اكتشاف مفاتيح علاج اضطراباتها وأعراضها.

فلم لا تُجرب الرجوع إلى ينبوع الوحي المبارك قصد اكتشاف أسرار علم النفس القرآني في أصوله الصافية النقية سعياً لتحقيق قدر من الفهم السديد لبعض تقلبات النفس البشرية واضطراباتها، عسى أن تهندي إلى سبل علاجها علاجا يضع الأصبغ على الأدواء الحقيقية.

إن تتبع آيات الأنفس في سياقاتها القرآنية المتنوعة، وهي كثيرة بحمد الله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَقْبَانِ وَيَجِ

أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ ءَأَنَّهُ الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾²



وما تُمدنا به من حقائق عن عوالم النفس البشرية، كفيل بأن يعطينا تصورا واضحا متكاملًا عن ما يمكننا الاصطلاح عليه ب"علم النفس القرآني"، على مستوى المفهوم أساسا، وعلى مستوى مختلف التفاعلات التي تطرأ على النفس البشرية ثم على مستوى علاجها.

وحسبنا ههنا الوقوف مع جملة من هذه الأسس القرآنية التي تشكل في تكاملها محور الرؤية القرآنية للنفس البشرية.

مفهوم النفس البشرية:

ترجع أهمية تحديد مفهوم النفس البشرية انطلاقا من الرؤية الإسلامية لها إلى فهم طبيعتها وتغيراتها مما يمكن معه علاج اضطراباتها التي قد تحصل لها لسبب من الأسباب.

وإذا كانت الرؤى والاطروحات الغربية تتسم بالقصور من حيث تناؤلها مفهوم النفس البشرية واعتلالاتها المختلفة فإنها قد عولجت معالجة مكتملة داخل النظرة الشرعية لها، بما هي نظرة مستمدة من الوحي المبارك.

ومن أسبق من تناول مصطلح النفس الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله، إذ أطلقه على معنيين "أحدهما: أن يطلق ويراد به المعنى الجامع للصفات المذمومة، وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية، والثاني: أن يطلق ويراد به حقيقة الأدمي وذاته؛ فإن نفس كل شيء حقيقته، وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات، وهو من عالم الملكوت³ لقد شغل الحديث عن حقائق النفس البشرية حيزا كبيرا من كلام رب العالمين.

إذ تحدث عنها باعتبارها أصل الخلق الإنساني ومادة التكوين الأدمي إلى يوم الدين قال ربنا الكريم ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ

بِتَفْوَاهِ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَفِيبًا⁴

وقال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا⁵

فَأُثِّيْ نَفْسٍ وَأُثِّي تَرْكِيْبٍ لَهَا أَمْ أَيْ تَعْقِيْدِ هَذِهِ الَّتِي تَعْدُ نَوَاةَ الْبَشَرِ كُلِّ الْبَشَرِ.

ثم إن لها أحوالا ومستويات وتغيرات وعلاقات وتفاعلات مع الروح والقلب والعقل والفؤاد... فهل هذه أسماء لمسمى واحد، أم أحوال لمسمى واحد، أم أشياء مختلفة تماما ولكل منها وظيفة؟

ألا تعسا لعبد عكف على جسمه يغذيه ويكسوه ويبنيه وقد علم أنه إلى خراب وتراب، وكل ما فوق التراب تراب⁶.

ألا سحقا لعبد أهمل استكمال فضائل نفسه، وترك تنمية خيرية روحه وقد علم أنها الحاملة لا المحمولة. والله در القائل:

يا خادِمَ الجِسمِ كَمْ تشقى لِجِدمِتهِ

أَتَطْلُبُ الرِّيحَ مِمَّا فِيهِ حُسْرَانُ

أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فِضَائِلَهَا

فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسمِ إِنْسَانُ⁷

ألا إن الريح كل الريح في خدمة النفس تزكية وتنمية وتطهيرا وتخليية وتخليية.

وأنت ترى أن هذا الجسم بلحمه ودمه وعظمه وشحمه يساقط تباعا كأوراق الخريف إذ تهب بها ريح الخريف. أو كالسنابل

تتمايل إذ تنقل بما تحمل فيحل إبان حصادها. لكن الروح لا تزداد إلا طراوة والنفس لا تزداد إلا إشراقه كأنها تنهيا للحظة ميلاد

جديدة تنطلق معها في دورة جديدة في عالم الروح إذ تعاد إلى البرزخ بعد وفاتها وقد بلي رفاتنا وصار عظاما نخرة.



أحوال النفس البشرية في الرؤية النفسية الإسلامية:

تناول جمهرة من علماء التربية، أرباب السلوك أحوال النفس البشرية، وناقشوا مسألة جوهرية مرتبطة بسؤال "هل هي أنفس ثلاثة، أم أحوال ثلاثة لنفس واحدة. ولعل أشهر من فصل أحوالها الإمام ابن قيم الجوزية رضي الله عنه يقول "والنفس قد تكون تارة أمارة، وتارة لواممة، وتارة مطمئنة، بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل فيها هذا وهذا وهذا، والحكم للغالب عليها من أحوالها، فكونها مطمئنة وصف مدح لها، وكونها أمارة بالسوء وصف ذم لها، وكونها لواممة ينقسم إلى المدح والذم، بحسب ما تلوم عليه⁸.

استثماراً لهذا التقسيم الشرعي للنفس البشرية، نعرض أحوال النفس ثلاثة في الرؤية الإسلامية، كما يلي:

النفس الأمارة بالسوء:

وهي الحال التي تنزل فيها النفس البشرية عن رتبة الطهر والنقاء، التي خلقها الله عز وجل عليها ﴿لَفَدَّ خَلْفَنَا الْإِنْسَانَ

وَجِ أَحْسَنِ تَفْوِيمٍ﴾⁹ إلى دركات البهيمية فتأمر صاحبها باقتراف الموبقات وارتكاب المنكرات، وعمل السيئات، فإن هو وفقه الله تعالى للجمها بخطام التذكر والاستغفار رجعت سيرتها الأولى وصفاءها ونقاءها القديم. وإن لبي نداء نزواتها أوقعته هالكا خاسرا والعياذ بالله.

هذه النفس هي التي أمرت امرأة العزيز باقتراف الفاحشة ﴿وَمَا أَهْبَرْتُمْ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ الْأَ

مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾¹⁰

النفس اللوامة:

إذا استجاب العبد لحظة ضعفه وغلبة شهوته وسطوة هواه وسلطان غريزته فترك طاعة أو اقترف سيئة لم يتركه الله تعالى هملاً يقاسي لواجع نفسه، وتعذيب ضميره وإنما أكرمه بحال من أحوال النفس البشرية يضمدها بجروحها التي تنزف معصية ويداوي أوجاعه، هي حال النفس اللوامة بصيغة المبالغة ﴿وَلَا أَفْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾¹¹ التي تكثر من لوم صاحبها على التكاثر عن الطاعات والاجتهاد في المعاصي والسيئات، فيحمله ذلك على التعجيل بإحداث التوبة والمبادرة إلى الأوبة، فيهدأ اضطرابها، وتسكن لواجعها، فيرتقي إلى حال من أحوال النفس الجميلة، وهي النفس المطمئنة، التي أشرفت شمس عودتها، واكتمل بدر رجعتها راضية مرضية رزقنا الله هذه الحال.

النفس المطمئنة:

ذكرها خالقها جل وعلا في سورة الفجر ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾¹² ﴿رُجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ

رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾¹² ﴿بَادِئِ فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾¹²



قد تشعر النفس البشرية في أصفى أحوالها الإيمانية، وأبهى إشراقاتها الإحسانية بشيء من الطمأنينة والسعادة الدنيوية. لكن مقام الطمأنينة الكاملة والسعادة الحقة إنما هي حال النفس مطمئنة بعد رحلتها عن هذه الدار إلى دار القرار راضية مرضية، إذ تستمتع برحلة الخلود بعد ملاقة حبيبها، متقلبة في النعيم المقيم، مترددة بين مقامها من البدن الفاني الذي وسد الثرى، وبين فضاءات فراديس الجنان التي جاوزت الثريا، مستعجلة قيام الساعة حتى تنقلب إلى أهلها مسرورة، كما جاء في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفة خروج الروح وما يحدث في القبر للمؤمن والكافر وفيه قال صلى الله عليه وسلم عن العبد المؤمن ﴿فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عَلِمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَالْبَسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَفْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِبِّهَا، وَيُنْفَسِحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ. قَالَ: " وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرَّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبَشِّرُ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحِ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي ﴿13

ثمرة معرفة قلب النفس الإنسانية بين الأحوال الثلاثة:

أما بعد: فمعرفة هذه الأحوال الروحية للنفس البشرية يكسب العبد فقها بتقلباتها وتغيراتها، فيستدل بسلوكها رغبة ورهبة، وأفعالها، نشاطا وفتورا، وأعمالها، اجتهادا وتكاسلا، وأحوالها إقداما وإحجاما على حقيقة الحال التي تعترها فيجتهد في إصلاح فسادها ورتق فتقها، وعلاج أدوائها، وضمان جراحها توبة واستغفارا، أوبة وانكسارا حتى يبلغ بها مراتب أولى المهمم العالية ومنازل أولى الأحوال المرضية.

الخوف منشأ الأمراض والأعراض النفسية، والأمن أساس استقرارها في الرؤية القرآنية:

المتتبع لآيات الأنفس في سياقاتها المختلفة من الذكر الحكيم كثيرا ما يلقى إشارات حكيمة تتحدث عن "الخوف السليبي"، وههنا لا بد من الإشارة إلى أن الخوف السليبي يقابله خوف إيجابي، وهذه هي المعادلة الصعبة في هذه الزاوية من علم النفس القرآني، فغالبا في الطرح النفسي البشري لا يتحدث عن هذا التمييز، إلا الرؤية الإسلامية هي التي تجدها تقيم هذا الفرق بين الخوفين، خوف مرضي تنتج عنه مختلف الاضطرابات وتنشأ عنه جملة الاعراض والامراض النفسية، وهو الخوف من سائر المخلوقين، ومنه ايضا الخوف على الاهل الابناء والمستقبل وغيرها. وهو مذموم إن زاد على حد الاعتدال الذي ينهض صاحبه ويحفزه للقيام بالواجب عليه تجاه المخوف منه أخذًا للحذر والحيطه، أو اجتهادا في العمل...

الخوف من الخالق سبحانه وتعالى الذي بيده سلطان الكون كله أنفسه وآفاقه ذراته ومجراته: وهو خوف مطلوب محمود مرغوب حث عليه الخالق سبحانه وتعالى، وذلك بالتماس أسبابه واكتساب موجباته، وهو طمأنة للنفس واستقرار للقلب وثبات للفؤاد وتوازن في شخصية الإنسان، وهو يمنح العبد جرعات عالية من الأمان والثقة بوعد الرحمان جل وعلا.

وكم دعا الخالق تعالى إلى ترك الخوف مما سواه ومباشرة أسباب الخوف منه جل وعلا دون غيره قال تعالى ﴿قَلَّا تَخَافُوهُمْ

وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿14﴾ وقال سبحانه ﴿وَإِلَّيَّ قَارَهُبُونَ ﴿15﴾



وكم امتن صاحب المنن العظمى والنعم الكبرى على عباده بنعمة الأمن ﴿إِلذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ ﴿١٦﴾ وَءَامَنَهُمْ

مِّنْ خَوْفٍ ﴿١٦﴾

ويشر المؤمنون بالأمن النفسي ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوذِيَكَ لَهُمُ ءَأْمَنُ وَهُمْ

مُهْتَدُونَ ﴿١٧﴾ وضرب المثل بالقرية التي كفرت نعمة الله عليها فأبدل الله أمنها خوفا ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً

كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَرَبَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ

بِأَذْفَىٰهَا اللَّهُ لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٨﴾

وتتوالى أي المبين تكشف نعمة الأمن ونقمة الخوف بما هو عذاب نفسي تتعطل معه جملة الملكات والقدرات فالخائف يجمد

مكانه ولا يستطيع حركة ولا خلاصا إلا أن يشاء الله.

الرؤية النفسية القرآنية معتدلة بين كبت مشاعر النفس البشرية وإطلاق العنان لها:

الرؤية النفسية القرآنية لا تصادر مختلف مشاعر النفس البشرية غضبا وحزنا وأسى وفرحا وسرورا... انسجاما ومبدأ مراعاتها فطرة

النفس البشرية...

وإنما تعترف بها وتديرها وتستثمرها بما ينحو بها منحى التوازن والاعتدال والأمان ويستخرها في بناء شخصية الانسان بناء منسجما

متكاملا.

فالحب باعتدال وكذلك البغض، والفرح بتوازن ومثله الأسى، والسكينة بميزان وكذلك الغضب... وهلم جرا من ثنائيات الأحاسيس

وتقابلات المشاعر التي تعترى النفس البشرية عبر رحلة سيرها كدحا إلى بارئها. ﴿يَأْتِيهَا إِلَانَسْنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ

رَبِّكَ كَدْحًا بَمُؤْفِيهِ ﴿١٩﴾

فشعور الحب مثلا لم تلغه شريعة الفطرة، بل أقرت به، وصرفته تصريفا فطريا منضبطا من غير إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا

تقصير، اللهم أن يكون حبا للخالق جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو كيمياء السعادتين، وذخر الدارين، يقول رب الثقلين

﴿فَلِإِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ

إِفْتَرَبْتُمُوهَا وَتَجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ ﴿٢٠﴾

أما ما دونه فلزم تهذيبه وترشيده وتصريفه في طرقه المشروعة المنسجمة وفطرة النفس البشرية.

ومثله يقال في شعور البغض إذا حمل عليه الانسان حملا ودفع اليه دفعا من غير اختيار.



استثمار المعطيات النفسية القرآنية في طرائق التربية والعلاجات الكلينيكية:

ما أحوجنا إلى استثمار هذه الحقائق القرآنية المرتبطة بعلوم النفس في الأساليب التربوية وعلاج الحالات المرضية.

ولو أننا أدخلنا الأساليب التربوية القرآنية والنبوية الحكيمة القائمة على بناء النفس على قاعدة الخوف من الخالق لا غير، في طرائق تربيتنا لكان لها آثار كبيرة في صياغة شخصية الطفل صياغة منسجمة تتكامل فيها الأبعاد وتشبع الاحتياجات ما يمنحها قدرا من الاستقرار القلبي والطمأنينة الوجدانية، ومنسوبا من توازن السلوك وسداد المواقف في بعد تام عن شبح المخاوف وظل الرعب. ولو أننا استفدنا من هذه النظرية الاسلامية في العلاجات المعرفية والسلوكية، والعلاجات الكلينيكية لمرضى الاكتئاب والوسواس القهري ونوبات الهلع وغيرها من الأمراض الناشئة عن الخوف لكان للبرامج العلاجية شأن مغاير وثمره علاجية ملموسة في تحسن أعراض المرضى إلى حد كبير، إن لم يشفوا تمام الشفاء.

وما دامت البرامج العلاجية في عيادات الطب النفسي قائمة على وصف العقاقير الطبية، أو حتى بعض الحصص العلاجية غير المؤطرة برؤية واضحة دقيقة مستندة إلى المرجعية النفسية الاسلامية فإن مستويات تحسن الحالات المرضية لن تتحسن، بل ستواصل ارتفاعه المهول. ولو توهم المعالج والمريض أن حالته تحسنت بالعقاقير الطبية ففي العمق، لم يحدث تغير جذري كلي على مستوى البنية العصبية للمريض من جهة علاجها بمعاني الخوف من الله وحسب الذي يغير تركيبها تماما في اتجاه تكسير جملة المخاوف من غير الخالق التي استبطنت الشبكة العصبية، فاضطر معها المريض إلى القيام بجملة حيل نفسية دفاعية، انسجاما وطبيعة التفكير الإنساني، كالتهريب والجدال والرفض ومراقبة المشاعر والتصرفات و... بل ربما لجأ إلى سلوكيات الادمان للتخفيف من الضغوط النفسية التي تواجهه في حركته اليومية دون أن يدري الطرق الصحيحة للتعامل معها فأنتج هذا الوضع النفسي المعقد... وإنما كلست العقاقير مراكز الاحساس لحظة العلاج، ولذلك لا يشعر المريض معها بالأعراض والافكار وإن كانت موجودة... وليس معنى ذلك أنها اختفت إلى الابد وإنما كأنما أنيمت لتستأنف حضورها بعد التوقف عن الدواء، وهو ما يفسر تنامي موجة المرض بعد توقف المريض عن الدواء لا سيما إن كان توقفا مفاجئا دونما تدرج يخفف من حدة الاعراض الانسحابية.

صفوة القول:

قادتنا هذه الدراسة النفسية المؤطرة بمرجعية الوحي المبارك قرآنا وسنة مطهرة إلى استنتاج جملة من الاستنتاجات العلمية والخلاصات النفسية نجملها فيما يلي:

1. النفس البشرية في التصور الإسلامي تكنسي عمقا يتجاوز محدودية النظرة الغربية لها.
2. مفهوم النفس البشرية في المرجعية الاسلامية مفهوم أوسع دلالة وأغنى تصورا وأبعد أثرا من المفاهيم الضيقة التي قدمت لها في الدراسات السلوكية الغربية.
3. أحوال النفس البشرية ثلاثة رئيسة تتقلب فيها النفس البشرية تفاعلا مع المواقف والمثيرات التي تعرض لها. وإدراك هذه المقامات والوعي بها لحظة دخول النفس فيها كفيل بإصلاح حالها وعلاج أدوائها، والترقي بها عبر مدارج الكمال ومقامات الجمال لتعانق فيوضات أنوار ذي الجلال.
4. الخوف من الكائنات منشأ الأمراض والخوف من الخالق تعالى صمام أمان النفس البشرية.
5. مشاعر النفس في ظل التصور الاسلامي لها مشاعر معتدلة منضبطة مهذبة مشدبة، لا إفراط فيها ولا تفريط، وهي بذلك تمنح الشخصية التوازن والثقة والاعتدال بعيدا عن كافة مظاهر الاضطراب النفسي والاهتزاز الوجداني.
6. الإفادة من إمكانات التصور النفسي القرآنية وحقائقه لبنة أساس في مشروع بناء علم النفس الاسلامي.



7. كانت هذه وقفات وتأملات في مواقع النفس في السياقات القرآنية والنبوية، رجاؤنا منها أن تسهم بقليل في التأسيس لمدخل علم النفس القرآني "عسى أن تستفيد منه البشرية في زمن اهتزاز المشاعر وانحراف السلوك واضطراب الشخصية، على مستوى التربية والعلاج الكلينيكي".



ملخص البحث باللغة العربية:

في زمن اضطراب المشاعر واهتزاز الأحاسيس، بل وانحراف السلوكيات والتصرفات الإنسانية عن جادة الصواب يظل من الواجب الرجوع إلى معطيات علم النفس رجاء الظفر ببعض القواعد والحقائق التي من شأنها أن تعالج هذا الوضع الخارج عن مقتضيات التكوين الفطري للنفس الإنسانية، في مأمنٍ من سلوكيات الإدمان التي عادة ما يضطر إليها المريض للتخفيف من معاناته جاهلاً أنها لا تزيد حاله إلا سوءاً وتأزماً...

لكن المسح البحثي لإنتاج الإنسان في العالمين الغربي والعربي في مجال علم النفس يكشف عن حقيقتين: ترتبط أولاهما بقلّة الكتابات النفسية، مقارنةً بغيرها من مجالات العلوم الإنسانية، وضعف مواكبتها لموجة تنامي المشاكل النفسية التي يعاني منها إنسان القرن الواحد والعشرين.

وتتعلق ثانيهما بطابعها النظري الذي يقصُرُ بها عن مستوى تقديم وصفات علاجية متكاملة لاعتلالات النفس الإنسانية.

من هنا إذن انقدحت في ذهني فكرة محاولة صياغة "مدخل إلى علم النفس القرآني"، تعاضد الدراسات النفسية التي اشتغلت على علم النفس الإسلامي، بما هو علم مستمدٌ أُسسه المعرفيُّ، مأخوذةٌ أصوله العلمية من دستور العالمين القرآن الكريم.

لقد عالج القرآن الكريم -بما هو رسالة الله عز وجل للعالمين - مفهوم "النفس البشرية" معالجة، تكتسي من خصائص العمق وصفات القوة ما تتجاوز به محدودية النظرة الغربية لها، على اختلاف مدارسها واتجاهاتها، وتباين نزعات وإيديولوجيات الدراسين لها.

إن النفس الإنسانية في التصور الإسلامي تنقلب في أحوال ثلاثة رئيسة، تفاعلاً مع المواقف والمثيرات التي تعرض لها. وإدراك هذه الأحوال والمقامات والوعي بها لحظة دخول النفس فيها كفيل بإصلاح حالها وعلاج أدوائها، والترقي بها عبر مدارج الكمال ومقامات الجمال لتعانق فيوضات أنوار ذي الجلال.

من زاوية أخرى فإن مشاعر النفس في ظل التصور الإسلامي لها مشاعر معتدلة منضبطة مهذبة مشدبة، لا إفراط فيها ولا تفريط، وهي بذلك تمنح الشخصية التوازن والثقة والاعتدال بعيداً عن كافة مظاهر الاضطراب النفسي والاهتزاز الوجداني.

يظل هذا البحث إذن وقفات وتأملات في مواقع النفس في السياقات القرآنية والنبوية، رجاؤنا منها أن تسهم بقليل في التأسيس لمدخل علم النفس القرآني "عسى أن تستفيد من إمكاناته البشرية في زمن اهتزاز المشاعر وانحراف السلوك واضطراب الشخصية، على مستوى التربية والعلاج الكلينيكي.



Summary on writing "an Introduction to Qur'anic Psychology"

In cases of emotional unrest and shaken feelings, as well as the deviation of human behaviors and actions from the true path, it becomes necessary to consult psychology in the hope of finding rules and truths that may resolve this out-of-innateness situation. a resolution that will shelter patients from addictions, their chosen coping resort; little do they know it only exacerbates their condition.

However, a deep scan of psychology literature in both worlds, the Arabic and Western, reveals two facts: The first is the scarcity of literature in psychology, particularly when compared to other human sciences. It is inadequate in keeping up with the new and growing wave of psychological problems that the 21st-century man suffers from. The second fact is that the theoretical side of psychology is not robust enough to provide complete remedial prescriptions for the illnesses of the human psyche.

In light of the above, I decided to attempt writing an "Introduction to Qur'anic Psychology" to strengthen psychological studies that address Islamic psychology. This field is a science whose cognitive foundations and scientific principles are derived from the Holy Quran.

The Holy Quran, Allah's message to humanity, addresses the concept of the "human psyche" with a profound and robust treatment that surpasses the superficial Western view. This is evident despite the diverse schools of thought and the varied tendencies and ideologies of its proponents.

According to the Islamic perspective, the human soul undergoes three main modes, depending on the situations and triggers it is exposed to. Thus, grasping these modes as the soul enters one of them ensures the repair and treatment of its illnesses, ascending it through ranks of perfection and beauty to embrace the overflowing light of Allah.

In a different light, the Islamic perspective sees the emotions of the soul as disciplined, moderate, refined, and free from excess or deficiency. Thus, they provide personality balance and confidence, distancing it from all aspects of psychological unrest and emotional turbulence.

Ultimately, this research is a compilation of reflections on the soul in the Qur'anic and prophetic contexts. The hope is that these reflections will contribute to establishing an "Introduction to Qur'anic Psychology." Perhaps humanity will benefit from this work in times of disturbed feelings, behavioral deviation, and personality disorders. in terms of upbringing as well as clinical psychology.



الهوامش:

- 1 سورة فصلت الآية 41.
- 2 سورة فصلت الآية 52.
- 3 أبو حامد محمد بن محمد الغزالي - معارج القدس، في مدارج معرفة النفس"، ص 15. الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة - بيروت، 1975م.
- 4 سورة النساء الآية 1.
- 5 سورة الأعراف الآية 189.
- 6 يقول الشاعر العربي أبو فراس الحمداني في هذا:
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب.
- 7 البيتان لأبي الفتح البستي.
- 8 -ابن قيم الجوزية - إغاثة اللهفان في مصاديد الشيطان - الباب الحادي عشر: في علاج مرض القلب من استيلاء النفس عليه النفس تكون: تارة أمارة، وتارة لوامة، وتارة مطمئنة، والحكم للغالب عليها من أحوالها- ج 1 ص 131 ط عطاءات العلم.
- 9 سورة التين الآية 4
- 10 سورة يوسف الآية 53.
- 11 سورة القيامة الآية 2.
- 12 سورة الفجر الآيات 30-31-32.
- 13 أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن البراء بن عازب بإسناد صحيح. رقم 18534.
- 14 سورة آل عمران الآية 175.
- 15 سورة البقرة الآية 39.
- 16 سورة قريش الآيتان 4 و5.
- 17 سورة الأنعام 83.
- 18 سورة النحل 112.
- 19 سورة الانشقاق الآية 6.
- 20 سورة التوبة 24.